

الوافي في الوفيات

وكم مشكلات لم يبن لمحدق ... إليها جلاها فانجلت عندما أملى .
فمن هذه حالي وحالته معي ... أychسن أن أبكي على فقدته أم لا .
وعهدي به لا أبعد ا عهده ... وأقلامه أنى جرت نشرت عدلا .
وتجري بما تجري الملوك من الندى ... بها فتزيل الجذب والمحل والأزلا .
لقد كان لي أنس به وهو نازح ... كأن التناثي لم يفرق لنا شملا .
وقد زال ذاك الأنس واعتضت بعده ... دموعاً إذا أنشأتها أنشأت الوبلا .
فلا دمعي الهامي يجف ولا الأسى ... يخف جواه إن أقل لهما مهلا .
ولا حرقى تخبو وإن يطف وقدها ... بماء دموعي صار فيها غضى جزلا .
إلى ا أشكو فقد صبح رزئتهم ... وفقد ابن فضل ا قد عدل الكلا .
ولم يترك الموت الذي حم منهم ... حميماً ولا خلى الردى منهم خلا .
وعمهم داعي الحمام فأسرعوا ... جميعاً وألفي قولنا فيهم إلا .
وكم يرتجي الساري الونى عن رفاقه ... إذا ركبهم يوماً بدارهم حلا .
أيطمع من قد جاز معترك الردى ... بإبطائه عمن تقدمه : كلا ! .
ولا سيما من عاهد الداء جسمه ... يعاوده بدءاً إذا طنه ولى .
عزاءك محيي الدين في الذاهب الذي ... قضى إذ قضى فرض المناقب والنقلا .
فمثلك من يلقي الخطوب بكاهل ... يقل الذي تعى الجبال به حملا .
وفي الصبر أجر أنت تعرف فضله ... وآثاره الحسنى فلا تدع الفضلا .
وسلم لأمر ا وارض بحكمه ... تحز منه فضلاً ما برحت له أهلا .
ولا زال صوب المزن والعفو دائماً ... يؤمانه حتى إذا وصلا آنهلا .
ورثاه الشيخ علاء الدين علي بن غانم أنشدني لنفسه إجازة :
ما كنت عن حزني عليك بلاهي ... لما فقدتك يا ابن فضل ا .
أصبحت ذا جلد لفقدك واهن ... حزناً عليك وذا اصطبار واه .
كم صنت سر الملك منك بهمة ... وفيه كفاية ما صانها إلهي .
ولكم مهم مشكل أمضيته ... إذ أنت فيه أمر أو ناه .
من للمصالح والمهمات التي ... ما كنت عنها ساعة بالساهي .
كم حاجة حصلت بجاهك وانقضت ... وكريهة فرجتها ا .
من ذا يقوم مقام فضلك في العلى ... من سائر الأنظار والأشباه .

ما زلت عمرك محسناً حتى انتهى ... ولكل عمر في الزمان تناه .
كم قائل ما زلت أنت ملاذه ... قد كنت عزي في الزمان وجاهي .
ولكم سعيد مات بعدك خاملاً ... بك كان بفخر دائماً ويباهي .
ما فرد داهية برزئك قد دعت ... بل قد دعت لما فقدت دواهي .
قسماً لقد حمل الزمان وكان لما كن ... ت به هو الزمان الزاهي .
□ در معارف قد حزتها ... من ذا يجري فضلها ويباهي .
أنطقت أفواه الرفاق بمدحك العا ... لي لفضل دام منك وفاهي .
أسفي على ما فات منك وأنت لم ... تبرح بقربي منعماً وتجاهي .
أبكيك ما بقي البكاء بكاء مح ... زون على طول المدى أواه .
فسقت صريحك رحمة فياضة ... ترويه بالأنواء والأمواه .
ولما طلب إلى مصر كتب إليه علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت :
وافقت ربي من ثلاث بأن ... تبقى وترقى وتنال العلا .
وقد رأيت عيناى أمنيته ... والحمد □ تعالى على .
والآن في مصر فلا بد من ... أن تخلف الفاضل والأفضلا .
وكتب إليه أيضاً :
لئن كان أصلي من ذؤابة كنده ... أولي الحكم الغراء والمنطق الفصل .
فما زلت طول الدهر أشكر فضلكم ... إلى أن دعوني في الفضائل بالفضل